الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ ، توارى وجهٌ كريم من الوجوه اللبنانية المحسنة الغالية .

وجهٌ صبيح كان يشعُّ بالطهارة والقداسة وتُقرأ على اساريره معاني الرصانة والرزانة والفضل والنبل ، علاهُ الشحوب والاصفرار .

وفي يوم غير منتظر ، ذلك القلب الكبير الزاخر باشرف العواطف واسمى المقاصد الملي. بالتبرة والتضحية في سبيل الله وخدمة الانسانية ، تصاعد خفقانهُ وتعطَّلت دورته وتجمدت حركته .

في فصل الخريف ، بينما الاشجار تصفرُّ اوراقها وتنتثر ، والينابيع تشحُّ مياهها ويتعالى انينها ، والطيور ترتعش نغماتها ، والرعاة تصمتُ شبَّاباتها ، والطبيعة تتبدَّل روعتها وبهاؤها وقد بدأت تخلع ملابس سناها حدادًا على قرب زوال بهجة الصيف وروائهِ ومتعة مشهدهِ وبهائهِ . في هذا الفصل الذي ينكمش فيه القلب وتتغيَّر سارحُ العين ، مات العلامة الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري الذي:

« مرَّت حروفُ نعيهِ كختاجر بمسامع الفضلاء والادباء »

ان الخسارة بالخوراسقف ارسانيوس الفاخوري هي عامةٌ شاملة ، لان هذا الرجل نصب نفسه خادماً لربه وللناس على اختلاف مذاهبهم ومقاصدهم ، يجود من قلبهِ وروحهِ وجيبهِ قياماً بسنَّة الدين والانسانية معاً وتنويرًا للاذهان المتخبطة في الدياجي وتخفيفاً لآلام ذوي البؤس والشقاء عملًا بقول السيد المسيح : كونوا رحومين كما ان اباكم السماوي هو رحوم .

ان حياتهُ سلسلة جهاد وعناد ، فما اشتدَّت عليه وطأة الازمات اشتدَّ عزماً واستدَّ رأيًا وصفا جوهرًا وانبرى للتضحية ومصارعة الصعاب بقلبٍ قدَّ من

الصغر ، ملؤه الايمان والرجاء بالله ، وكان الله معه فلا يخرج من المعمعة الّا غالباً منصوراً مشكوراً ممجداً الله عونه وظهيره .

في ولادته

وُلد خليل في منتصف ليل الخامس عشر من ايلول سنة ١٨٨١ في قصبة غزير عاصمة جبل لبنان في عهد الامراء المعنيين والسيفين (آل سيفا) والشهابيين ، وقاعدة قضاء كسروان في ولاية المتصرفين ، وموطن الامير بشير الشهابي الكبير. والدهُ سليم بن انطون بن سعد بن يوسف الفاخوري ، ووالدتهُ سعدى بنت ابراهيم باخوس وهما مارونيان معروفان بالتدين والتقوى متحدران من اسرتين ثريتين لبنانيتين ، فاسرة الفاخوري هي في الاصل من بيروت . وتوطن الفرع الذي نشأ منه الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري قصبة بعبدا . ولما عُيّن الخوري ارسانيوس الفاخوري الاول الشهير قاضياً للنصارى انتقل مع اخيه سعد الى غزير مركز القضاء في ذاك الحين .

في مدرسته

درس في معهد الحكمة في بيروت من سنة ١٨٩١—١٨٩٤ وكان من الطلبة النابهين المتميزين بالذكاء والتقوى وحسن السلوك ، فاستمال الى محبته اساتذته ورفقاءهُ بخصاله هذه الطيبة .

وبعد ان حضر رياضة روحية القاها على الطلبة الواعظ الشهير الخوري بولس الياس الغاقوري المرسل اللبناني ، شعر باعماق نفسه بان الله يدعوه الى الكهنوت ، فلبّى صوته تعالى وكاشف والده بالامر فنشّطه وشجّعه وادخله سنة ١٨٩٤ معهد الآباء اليسوعيين الاكليريكي المعروف بمعهد القديس كسافاريوس او المدرسة الشرقية الاكليريكية التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت. ومما زاده رغبةً في التقوى والعبادة وسعياً وراء نيل الكهنوت ، هو ان الامير نجيب شهاب ، جدّ الامير جميل شهاب الذي كان في تلك السنة قائم مقام قضاء كسروان ويسكن في الطابق العلوي من داره في غزير ، وكان هذا الامير تقياً ورعاً مهاباً رصيناً لا يدخل المعبد لسماع القداس الالهي الّا بعد ان يجمع فيه اولاده

وخدمه . وفي كل يوم عند غروب الشمس يتلو سبحة العذرا على شرفة الدار ، فأثّر هذا المثل الصالح في قلب خليل تأثيرًا بليغًا . ولما علم هذا الامير الجليل بعزم خليل على اقتبال الكهنوت ، ناداهُ اذ كان يصلي سبحته متمشياً في شرفة داره كألوف عادته قائلًا له : « يا خليل اصعد الى هنا » واذ اقترب منه ربّتَ له على كتفه وقال : « قد بلغني انك تريد ان تكون اكليريكياً فهل هذا صحيح ؟ » اجابهُ : نعم مولاي . فقال : « نعم القصد الصالح لقد اخذت الحظ الاوفر اذهب بسلام والله يثبتك في دعوتك » .

صرف خليل في المعهد المشار اليه اثنتي عشرة سنة متفوقاً بدروسه وحسن سيرته مما حدا برؤسائه ان يعهدوا اليه رئاسة اخوية العذرا مريم في هذا المعهد الذي نال فيه الشهادات في دروسه منهـا الملفنة في اللاهوت النظري ، وسيم كاهناً في ١٨ ايار سنة ١٩٠٦ .

ولنترك له الكلام في مذكراته قال :

« قد سامني كاهناً سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في كنيسة القديس يوسف في مدرسة الحكمة بتفويض من سيادة المطران يوحنا مراد مطراني الشرعي. وبعد الرسامة عرض عليَّ سيادة الدبس ان اتقيد بخدمة ابرشية بيروت احياء لذكر المرحوم عمنا الخوري يوسف الفاخوري—شقيق الخوري ارسانيوس الاول الشهير — فاعتذرت لاسباب صوابية ، وصرفت نحو سنتين في بيتنا في غزير بدون ان اتقيَّد بوظيفة رسمية ، لكنني قضيتها بالدرس والمطالعة والقاء التعاليم الدينية في مدارس غزير المجانيَّة. واسست البترونات لاولاد الصنائع والمهن ، فكنت اجمعهم في كل احد وألقنهم التعاليم الدينية ، ووعظت رياضات روحية في صوميه ١٩٠٧ و١٩٠٨ في ابرشيتي بعلبك ، وبيروت . وفي ايار سنة ١٩٠٨ عيّنني المرحوم المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت معاوناً في خدمة رعية كاتدرائية القديس جرجس في المدينة المذكورة ، ومسجلًا في ديوان ابرشيته وشملني بعطفه وثقته اذ قال لي يوماً : « انك اصغر كهنة الكاتدرائية سنًّا واحدثهم في الرسامة ، لكنني عيّنتك لتكون مراقباً اعمال حضرة رئيس الكهنة الخوراسقف بطرس مبارك » .

وبعد مضيّ شهر على تسلمي الوظيفة المذكورة ، سيم حضرة الخوراسقف

انطون عريضه محامي الزواج في الديوان البطريركي ، رئيساً لاساقفة طرابلس (غبطة بطريركنا الحالي) وبما ان سيادته هو صديق بيتنا في غزير او في البترون تشرفت بناديه مع المرحوم والدي لنقدم له تهنئتنا ، فطلبني للتقيد بخدمته قائلاً لي : « هل تريد ان تذهب معي الى طرابلس فاضمك الى قلبي وأعينك كاتب اسراري او وكيلي خلفاً لحضرة الخوري يعقوب عوّاد [شقيق المطران اسطفان عوّاد[1] سلف عريضه] فأثر فيّ هذا الكلام واخذ بجامع فؤادي ، فاظهرت رضاي وقدّمت استعفائي لسيادة المطران بطرس شبلي فعفاني لكن بغير ارتياح قائلاً : « ماذا اجرينا بحقك حتى تتركنا » . ووجّه اليّ سيادة المطران يوسف نجم النائب البطريركي العام الذي كان ساعدني للحصول على مركزي في بيروت ، العبارات التالية : « اني اعددتك لتكون في بيروت وليس في طرابلس ، واذا كنت تصرّ على التقيّد بخدمة الابرشية المذكورة فلا بأس ، انا سوف تلقى كل الاشغال على عاتقك وفي النهاية تخرج صفر اليدين لان خدماتك هناك سوف تلقى نصيب خدماتي وعلى الرغم من ذلك قد تفوقني ، ولي فئة من ابناء الجبّة تضرب صفحاً عن التصريح باسمائهم » .

وصولنا الى طرابلس

في ٢٨ حزيران سنة ١٩٠٨ وصلنا الى طرابلس بهيئة سيادة مطرانها الجديد الذي دخلها بموكب حافل بالجماهير والهيئات الرسمية. قضيت نحو شهر في طرابلس، فتسنى لي ان اتعرّف بخلاله الى اعيان الطائفة الذين طلبوا من سيادته بالحاح ان يُسند اليّ مركز الوكالة الاسقفية خلفاً للخوري يعقوب عوّاد. عرض عليّ سيادته هذه الوظيفة فجاوبته بالقبول قائلاً : ارادة الرئيس هي ارادة الله فانا اذاً خاضعٌ لها . فأقامني وكيلاً على الابرشية ورئيس كهنة كاتدرائية الملاك ميخائيل .

وفي سنة ١٩٢٢ رقّاني الى وظيفة الخوراسقف على مذبح هذه الكاتدرائية، فقضيت في خدمة هذه الابرشية خمساً وعشرين سنة الّا شهرين ويوماً واحداً ، لاني تركتها في ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٣ ، وقد سعيت في خلالها ان اخدم الله

---

١) وله شقيق آخر في رهبانيتنا اللبنانية هو المرحوم الاب افرام عوّاد.

والكنيسة والطائفة. والابرشية ، فناصرتني العناية الالهية ورافقتني في اعمالي وسهّلت لي مهمتي . وعندما كانت تحيق بي المصاعب وتكتنفني العقبات وتتلبد الغيوم وتعظم المشاكل وتشتد المعاكسات ، كان الله عزّ وجلّ يبددها امامي ويهوّن عليّ الاشغال ويقودني الى نتيجة مرضية تعود الى مجده تعالى وخير النفوس . وعناية الله هي التي كانت تشملني في كل اعمالي سواء كبوت او صفرت بفضل عضد سيدتنا مريم العذراء. اذ بالرغم من كوني غريباً عن تلك المنطقة لا اهل لي فيها ولا معارف ولا ناصر من ذوي قربى ، وبالرغم من ضعفي وحقارتي رافقني النجاح في اعمالي الروحية والسياسية والاجتماعية ، وقد تمّ فيّ قول القديس بولس : « قد اختار الله الضعفاء ليخزي الاقوياء وجهّال العالم ليخزي الحكماء » .

ولا يخفى ان المناطق التي تتألف منها ابرشية طرابلس ومدينتها والقرى والزاوية وقسم من الجبّة والضنية وعكار والحصن والمدن واللاذقية وحمص وحماة وبلاد العلويين ، وهي مأهولة بطوائف مختلفة من مسلمين وشيعيين وروم ارثوذكس وعلويين وروم كاثوليك وبروتستنت ، كل ذلك يحرج موقف الرئيس الروحي ويزيده صعوبة بالنظر الى تشابك المصالح واختلاف الاديان والمشارب ، لكنّ الله عزّ وجلّ ذلّل امامي هذه الصعاب دون ان اضعف او اجبن عندما يقضي عليّ الضمير باتمام واجب ما . .

ان الحالة الروحية في رعية كاتدرائية مار مخايل في طرابلس كانت مهلة . ففي صلاة السحّار من اسبوع الآلام لم يكن يوجد في الكنيسة اكثر من عشرين شخصاً ، حال كون سائر الكنائس في لبنان وسوريا تغصّ بالمؤمنين في مثل هذه المواسم ، فرأيت ان الدواء لهذا الداء هو الرياضيات السنوية . وان رياضتي ١٩٠٩ و١٩١٠ لم تثمرا بالرغم من مقدرة الواعظين وغيرتهم ، اذ ان الاقبال عليها كان محدوداً جداً . ففي سنة ١٩١١ دعوت حضرة الخوري بولس [الياس] الفاخوري المرسل اللبناني الشهير لاعطاء الرياضة في الرعية المذكورة لكنّه كان يأس من نجاحها ، فزرت واياه ابناء الطائفة فتحققت نياتنا ، اذ انه في منتصف الاسبوع بدأت الجماهير تتوارد الى الكنيسة حتى ضاقت على رحبها باستيعاب المؤمنين وكلهم من الرجال . وقد تقدّم كلّ ابناء الرعية من

سرّي الاعتراف والمناولة ومنذ ذلك الحين تغيّرت حالة الرعية وانقلبت من برودة الى حرارة في ممارسة الواجبات الدينية والمواظبة على اقتبال الاسرار المقدسة » .

كلمة مختصرة

اولاً — ان الخوري اسقف ارسانيوس الفاخوري سامه كاهناً المطران يوسف الدبس في ١٨ اذار سنة ١٩٠٦ بعد ان تلقى دروسه اولاً في مدرسة الحكمة في بيروت مدة ثلاث سنوات ١٨٩١—١٨٩٤ واتمها في جامعة القديس يوسف في المدرسة الاكليريكية الشرقية مدة ١٢ سنة ١٨٩٤ — ١٩٠٦ . احتفل بقداسه الاول في كنيسة الجامعة المذكورة في ١٩ اذار سنة ١٩٠٦ الموافق لعيد القديس يوسف بحضور جميع التلامذة والآباء والاساتذة وجمهور من اهله ومواطنيه ومعارفه .

ثانياً — تلقى دروسه من ادبية واكليريكية بنجاح . وفاز بشهادات القبول في الخطابة والفلسفة واللاهوت الادبي والبكالوريا في الخطابة، وشهادات القبول والمأذونية والملفنة في اللاهوت النظري .

ثالثاً — عيّنه المطران يوحنا مراد كاتباً لاسراره ومسجلاً في ديوانه بعد مرور ثلاثة اشهر على رسامته .

رابعاً — بعد اعتفائه من الوظيفة المذكورة لاسباب صوابية ، وغب اليه المطران شكرالله خوري رئيس اساقفة صور ان يتسلّم نيابة ابرشيته ١٩٠٧ فاعتذر .

خامساً — في السنة المومأ اليها عرض عليه القاصد الرسولي في بغداد وظيفة كاتب اسراره فاعتذر بناء على مشورة مرشديه الروحيين المتصفين بالتقوى والعلم قائلين له : « ان طائفتك هي احق من غيرها بخدمتك » .

سادساً — أسس في ١٩٠٧ البترونات ضمّ فيه شباب عزيز وبلغ عددهم نحو ٧٥ شخصاً ، فكان يلقي عليهم الارشادات الروحية والتعاليم الدينية ، فكانوا نواة الشبيبة الغزيرية الفتية ومن ابنائه اخوية العذراء في دير الآباء اليسوعيين ومن الرعية ايضاً .

سابعاً — سنة ١٩٠٨ اسند اليه المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت خدمة رعية كاتدرائية مار جرجس في بيروت بصفة معاون رئيس كهنتها الخوري بطرس مبارك ، وعينه ايضاً مسجلاً في الديوان .

ثامناً — بعد مرور مدة وجيزة سيم الخوري انطون عريضه مطراناً على ابرشية طرابلس فعرض عليه ملاطفاً ان يتقيد بخدمته فرضي . وعينه في ١٨ تموز سنة ١٩٠٨ رئيس كهنة كاتدرائية الملاك ميخائيل في طرابلس ووكيلاً لابرشيته ونائباً عاماً وعهد اليه القيام باشغال الديوان ومعاداة شتّى الامور الرسمية في المحاكم .

تاسعاً — في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٢ رقّاه سيادته الى رتبة خوري اسقفي على مذبح كاتدرائية ما مخايل .

عاشراً — قام بمهام ادارة ابرشية طرابلس مرّتين : الاولى في اثناء غياب المطران المذكور في رومية وفرنسا وذلك مدة ثلاثة اشهر ابتداء من ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٢ مدة ١٦ شهراً بعد ان ارتقى سيادته الى السدّة البطريركية .

الحادي عشر — في اول حزيران سنة ١٩٣٣ عينه سيادة المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت رئيس ديوانه ولا يزال الديوان البطريركي الماروني يقرّ بدقة وضبط ديوان مطرانية بيروت وصحة احكامه بفضل رئيسه الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري .

الثاني عشر — في ١٨ تموز سنة ١٩٣٤ وكل اليه غبطة البطريرك مكسيموس الصائغ متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها وقتئذٍ الكلي الطوبى النظر والحكم في بعض دعاوى كنسية خاصة بصفة رئيس ديوان .

الثالث عشر — في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٧ اقامه سيادة المطران الياس ريشا رئيس اساقفة بعلبك نائباً عاماً على الابرشية المذكورة ثمّ كاتب اسرار الابرشية العام في اول تموز سنة ١٩٤٩ .

الرابع عشر — نهض باعباء ادارة ابرشية بعلبك مدة غياب المطران ريشا في رومية وذلك في ١٧ نيسان سنة ١٩٣٩ .

الخامس عشر — القى عدة رياضات روحية على كهنة ابرشيتي طرابلس وبعلبك وعلى بعض الرعايا ومواعظ عديدة متفرقة كان لها الوقع الحسن .

السادس عشر — مثل ابرشية بعلبك وسيادة مطرانها المتغيب في رومية في المؤتمر القرباني المقدس في بيروت سنة ١٩٣٩ الذي رئسه نيافة الكردينال اوجين تيسران .

السابع عشر — كتب عدة مقالات دينية في الصحافة كان لها استحسان عام وقد ذكره بها حضرة الآبائي اكاكيوس كرسا مستشار المجمع الشرقي المقدس ، لما زار الخوري ارسانيوس رومية والمجمع الشرقي في شهري تموز وآب سنة ١٩٥٤ ، منها مقالة موضوعها : حقوق وامتيازات الدواوين الكنسية ، كان لها اجمل وقع مما جعل القضاء اللبناني ان يعترف بحقوق هذه الدواوين في ان تصدر تذاكر احضار بحق ليس فقط المتداعين بل الشهود ايضاً ، ذلك حق لم يكن يُعترف به سابقاً . وسأله احد كبار القضاة مهنئاً ان يواصل مثل هذه الابحاث المفيدة ولكن اشغاله المتراكمة حالت دون مواصلة هذه الدروس .

الثامن عشر — في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ بناء على تصريح سيادة المطران عبدالله نجيم خلف المطران ريشا الشفيي بانه يريد ان يتعاطى الاشغال وحده ، عندئذٍ قدم الخوري ارسانيوس استقالته واعتفى قانونياً من الاشغال والمهام المذكورة واعتزل في دير حضرة الآباء البنديكتان في طرابلس حيث يشغل وظيفة مرشد روحي لتلامذة مدرستهم الذين يناهز عددهم الاربعمئة طالب محاطاً بكل عناية واعتبار واحترام قائماً باعمال روحية بحتة وجد بها مسرة قلبه ، ولذلك رفض قبول عدة وظائف مرموقة شاكراً الله الذي يسّر المجال للاقامة وجهه وخلاص نفسه باكثر استعداد بعد عناء نحو نصف قرن في خدمة ابرشيات الطائفة .

*

وفي ١٨ اذار سنة ١٩٥٦ اقام له حضرة الآباء البنديكتان في ديرهم بطرابلس لبنان حفلة تكريمية بمناسبة يوبيله الذهبي الكهنوتي حضرها جمهور من اعيان الناس على تباين مذاهبهم ومشاربهم تُليت فيها القصائد والخطب .

وقد تلطّف ومنحه قداسة البابا بيُوس الثاني عشر الغفران الكامل عند ساعة الموت . واصدر فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية مرسوماً باهدائه وسام الارز الوطني من رتبة ضابط بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٩٥٦ . وقد مثّله في حفلة اليوبيل سعادة محافظ شمالي لبنان الاستاذ حسني البرجه كما مثّل غبطة السيد البطريرك المفدّى سيادة المطران بطرس ديب بحضور صاحبي السيادة المطران انطون عبد والمطران اغناطيوس زياده . وهذه كلمة سعادة المحافظ :

يا صاحب السيادة

يسرّني وانا الذي عرفتكم منذ نيّف وعشرين سنة ، ان يعهد اليّ فخامة رئيس الجمهورية بوصفي محافظاً لشمالي لبنان ، بشرف تمثيله في هذه الحفلة كي اضع على صدركم وسام الارز الوطني من رتبة ضابط تقديراً لجهودكم المشكورة.

ويسرّني كذلك ان انوه في هذه المناسبة بكلمة موجزة عن سيرة حياتكم المليئة بالفضائل اذ بلغتم في مطلع العمر مرتبة دكتور في اللاهوت وفي الفلسفة .

وتقومون منذ خمسين عاماً بواجباتكم الروحية بصدق واخلاص ، وها أنا أعدّد المراكز الروحية التي شغلتموها فكنتم في كلّ منها تقرّبون القلوب الى حب الخير وتوجهونها نحو العمل الصالح فكثّر بذلك محبوكم ومقدّرو فضلكم.

انكم تولّيتم في سنة ١٩٠٨ مركز النائب العام في مطرانية طرابلس ، ثم ادرتم شؤون الابرشية المشار اليها في الفترة المتراوحة بين سنة ١٩٣١ واوائل ١٩٣٣ اثر شغورها بارتقاء سيادة مطرانها الى الكرسي البطريركي فكنتم المرجع الوحيد في شؤون المطرانية كافةً ونائباً بطريركيًّا ، ثم تولّيتم رئاسة المحكمة الروحية لابرشية العاصمة (بيروت) خلال سني ١٩٣٣—١٩٣٧ . وكان كلما دعا الواجب الروحي الى شيء كنتم في مقدّمة الملبّين اذ تابعتم رسالتكم الروحية في ابرشية بعلبك فتبوأتم مركز النائب العام فيها منذ سنة ١٩٣٨ الى ١٩٥٢ .

وفي هذه المراكز السامية كلها تركتم الذكرى العاطرة والاثر الطيّب ليس في الحقل الروحي فحسب بل في مختلف الاوساط الزمنية ، فكانت تلك الخدمات موضع تقدير واجلال .

تفضلوا يا صاحب السيادة بقبول اسمى عبارات التهنئة ، راجياً لكم مديد العمر بالاعمال البارّة التي ترضي الله وابناء الوطن العزيز .

طرابلس ١٨ اذار سنة ٩٥٦

محافظ شمالي لبنان

وقد تلطف غبطة بطريركنا المحبوب الكلي الطوبى فارسل اليه الرقيم الآتي :

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا العزيز الحوراسقف ارسانيوس الفاخوري الجزيل الاحترام

تلقينا بكل سرور بشرى الاحتفال الذي يعدُّه حضرة الآباء البندكتيين بمناسبة يوبيلكم الذهبي الكهنوتي فكان لهذا النبأ السعيد فرصة جديدة نغتنمها للاعراب عن عطفنا وتقديرنا .

قد كنا ولا نزال نرى فيكم مثال الرجل المستقيم والكاهن النشيط ذي الوجدان الحي : سمحت لكم اهليتكم بتولي مصالح عديدة ودفعتكم غيرتكم الى بذل اسمى التضحيات وحملكم وجدانكم الى تقديس اصعب الواجبات . وما كنا لنشك مرّةً بجودة قلبكم وخلوص نيتكم فاستحققتم بذلك الشكر والثنا . لاجل الخدم الجلّى التي قمتم بها سحابة نصف جيل .

فعربوناً لعطفنا وتقديراً لفضائلكم واتعابكم نبعث اليكم اليوم ايها الابن العزيز . باحرّ التهاني واطيب الاماني سائلين الله ان يجزل لكم المكافأة ويحفظكم بين اخوانكم وابنائنا اولاد مار بندكتوس الى اطول الاعمار مشمولين ببركته تعالى ورضاه .

عن بكركي في ٥ آذار سنة ١٩٥٦ الحقير

(الختم) بولس بطرس المعوشي

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

ومما لا يخفى ان للاب ارسانيوس الفاخوري في مدينة طرابلس اعمالاً جبّارة في سني الحرب الاولى الكبرى يذكرها له العارفون بالثنا . والاعجاب منها انه كان يحرم نفسه الراحة ليلاً ونهاراً فكنت تراه دائماً جائلاً في طرق المدينة

وشوارعها للتفتيش عن المشردين والمنكوبين والجائعين والمائتين فكان يقدم لهم الكساء والغذاء جوّاداً بكل ما تصل اليه يده بسرور وسخاء ، ولا يتلكأ عن اعداد المائتين منهم بدون فرق بين طائفة وطائفة فكان احسانه يشمل الجميع على السواء مما احلّه المنزلة الرفيعة في القلوب ، فمنهم من ارجعهم الى اهلهم ومنهم من وضعهم في المياتم مهتماً بحالة نفوسهم . يشهد بذلك فضيلة الشيخ قاظم الميقاتي مفتي طرابلس الذي قال بانه كان يرى الخوري ارسانيوس مراراً عديدة يطوف في ساحات مقفرة امام بيت الشيخ يؤاسي الهاربين من الجوع الى طرابلس المنتشرين في هذه الساحة فيقضي لهم واجباتهم الدينية . وكان يقوم بهذه المهمة الروحية في معظم شوارع طرابلس غير خائف الامراض المعدية المتفشية بكثرة من تيفوس وجدري وغيرهما . وظل يكافح ويجاهد بمثل هذه الاعمال المضنية بنشاط وتجرّد لا يعرف الكلل ولا الملل حتى أُصيب بداء التيفوس في اواسط شباط سنة ١٩١٨ .

وكان قبل هذه الحرب وفي اثنائها وبعد نهايتها موضع احترام واعتبار جميع ابناء الطوائف . وله صداقة ومودة واتصال بزعماء المسلمين في طرابلس نذكر منهم عطوفة الشيخ محمد الجسر وسماحة الشيخ ابراهيم السندروسي والشيخ شفيق المولوي والشيخ امين كرامي والشيخ احمد المقدم والشيخ اسماعيل المقدم والشيخ عبد الفتّاح الزعبي وغيرهم الذين كانوا يساعدونه ويلبّون مطالبهُ في اغاثة الفقراء وانصاف المظلومين، وكذلك قل عن سائر الحكّام من اتراك وفرنسيين ولبنانيين الذين لم يردّوا له طلباً لثقتهم بفضيلته وحسن طويّته ولوثيتهم بما كان يصنعه هذا الكاهن الغيور من آثار البرّ والاحسان الشاملة كل ابناء الطوائف والمذاهب .

وكان ذا قلب رقيق فيّاض بالاحساس والشعور يبكي لبكاء اليتامى والايامى ويحدب على المنكوبين المصابين بالمحن والآفات باذلاً جهده للترفيه عنهم واستعادة الطمأنة الى نفوسهم .

وبالرغم من هذه المهامّ الروحية التي اضطلع بها كان ساعد راعي الابرشية المطران عريضه الايمن فيتعاطى الشؤون السياسية كمراجعات الحكّام في متصرفية جبل لبنان وطرابلس واللاذقية وبيروت التي تتطلبها شؤون الابرشية ، فكان

يذهب الى السراي في طرابلس مرات في اليوم واحيانا في الليل لاجل اشغال ابناء الابرشية وسواهم من سائر الابرشيات حتى قال له احدهم : « يجب ان تخصص لك غرفة في دار الحكومة » وقد تولى ادارة ابرشية طرابلس وحده في سنة ١٩١٠ من نيسان الى تشرين الثاني في غياب سيادة عريضه في بكركي وبيروت لملاحقة بعض قضايا . وايضاً من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الى شباط سنة ١٩٢٩ لما سافر سيادته الى فرنسا لتأسيس معمل الترابة في شكا ، والى رومة لزيارة الاعتاب الرسولية . ومن ٢٤ كانون الاول سنة ١٩٣١ الى ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٢ لما ارتقى سيادته الى السدّة البطريركية ، وكلّل الله تعالى كل مساعيه بالتوفيق والنجاح . وكان محبوباً من جميع ابناء الطوائف بالرغم من بعض اجراءات يتطلبها العدل .

ومن حسناته التي تُذكر بالفخر والشكر : هو انه بعد انطواء صفحة الحرب الاولى الكبرى التي نال لبنان القسط الاوفر من بؤسها وشقائها ، اخذ يتقصّى اخبار النساء والفتيات والاولاد الذين انتشروا في كل بقعة نائية من بقاع هذا الجبل فراراً من الجوع وقد طوّحت بهم الاقدار ومسّهم البؤس فاعادهم الى اهلهم متحملاً المشاق والاتعاب وبذل اليد في هذا السبيل يعاونه في هذا الصنيع الخيري ارباب الحكم فينشطون لتلبية رغباته ، فاستحق شكر ذوي هؤلاء المشرّدين التعسين .

ومن ابرز الصفات الطيبة التي تحلّى بها ، الوداعة . ففي اثناء اشتداد الخطوب وتفاقم الكروب وفي غمرة من التعب والارهاق ، كنت تراه رابط الجأش لثبت الجنان « طلق المحيا كالرياض ببشره » ملقياً اتكاله على العناية الالهية التي رافقته في جميع ادوار حياته. ولكنه لم يكن يجبن اذا رأى البطل منصوراً والحق مدحوراً ، فيغضب غضبته وتبرز على جبينه خفايا ثورته ولا يتقاعس ولا يتهامل حتى يرى الحق مقرّباً على عرشه ، غير خاش سطوة الاقوياء والمتسلطين لان الضمير كان عنده فوق الجميع .

وكان محترماً مهاباً بعيداً عن الثرثرة والمزاح لا يجرؤ احدٌ في مجلسه ان يتكلم كلمة نابية ، ولا يقول غير الصدق ولا يحكم الّا بالصدق ، لا يداري ولا يماري ولا تستفزّه رشوة ولا تخيفه غضبة . ومما نعرفه عنه اذا غاب عن

كرسي احدى الابرشيات التي شغل نيابتها ، سُرّت حاشيتها وسادها شيء من المرح والفكاهة وفي حال عودته يعود السكون والصمت الى مجراه وينهض كل واحد بعمله وظيفته ويقول الواحد للآخر : « انتبه ان الفاخوري هنا ! »

ومما اشتهر به وعُرف عنهُ ، صحة الوجدان او قل الضمير المستقيم ، لذلك لم يجرؤ احد على ان يطلب منه طلباً لا يسلم باستجابته العقل والضمير . وكان شديد العبادة والتقوى يستعدُّ الاستعداد الوافي لتلاوة الذبيحة الالهية ويشكر بعدها الشكران الكافي وفي خلال النهار يزور القربان الاقدس مرّات . ومن عادته ان يعترف يومياً قبل مباشرته الذبيحة . وفي اثناء القائي الرياضيات في ابرشية بطلبك كنت اتردد على الكرسي الاسقفي في غرامون — كسروان — وفي كل يوم يطلب مني ان اسمع اعترافه ولم اكن اجد عليه مادة كافية للحل ، وفي اواخر حياته صرّح هو لمرشد اعترافه في طرابلس على ما اخبر عنه : بانه لم يرتكب في حياته خطيئة مميتة قصدية . الى هذا الحد من الكمال بلغ الخوري ارسانيوس الفاخوري .

وكان يزينه علمٌ وتقوى معاً ، قد اتفقا فيه وتصاحبا ولم يفترقا . وهو متضلعٌ من علم اللاهوت والفلسفة والحق القانوني والتاريخ ، يجيد اللاتينية والعربية والفرنسية واليونانية والسريانية . وله مواعظ ومحاضرات دينية وتآبين وتراجم قيمة تبرهن على سعة علمه ورسوخ فضيلته . وقد ترفّع عن الماديات ، شأن الكاهن الحقيقي ، وكل درهم يصل الى يده يوزعه على الفقراء . ورُشح للطرانية وفاز بسهم كبير من الاصوات في ابرشية طرابلس .

ذكر حضرة العلامة الخور اسقف يوسف صقر رئيس الديوان البطريركي الماروني امامي وامام غيري مرارًا قائلًا : ان التقارير والدعاوي التي ترد الى هذا الديوان كان ادقها واضبطها تقارير ودعاوي الخوراسقف ارسانيوس الفاخوري لانها مفرغة في قالب قانوني دقيق تلمس بين سطورها الصدق وصحة الوجدان والعلم . وكانت تقارير الخوراسقف الياس الزيناتي شبيهة بها من حيث الضبط . وفي معضلات وشكالات بعض دعاوي الزواج المهمة تعهد بعض الطوائف الكاثوليكية الى الاب الفاخوري الحكم فيها وحلها دلالةً على الثقة بعلمه ووجدانه .

وفاة الخوري الرسابوني

ما فتر ولا وَنَى ولا انقطع الاب الفاخوري عن الكدّ والجهاد في الحقل الروحي مدة اقامته في دير الآباء البندكتيين في طرابلس وظلّ مثابرًا على خطته هذه الفضلى غير عابئ بالمشاق وآلام الشيخوخة حتى سقط كالجندي الباسل في ساحة الشرف والجهاد — من كرسيّ الاعتراف الى القبر — قبضهُ الله تعالى اليه في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ مزودًا الاسرار الالهية ، وسرى نعيه في طرابلس وفي بعض انحاء لبنان سريان البرق وتقاطر رجال الدين والدنيا الى دار اخوانه الكرام في الفيحاء يشاطرونهم الاسى والاسف على فقده ، وجادت عليه العيون بالعبرات وتصعدت لمصرعه الزفرات وقد فقدت به الطائفة والوطن رجلًا عالمًا ورعًا تقيًا محبوبًا خيّرًا محسنًا طيّب القلب نقيّ الدخلة صحيح الوجدان كثير التفاني والتضحية : قد جاهد جهاد البررة في كرم الرب متاجرًا بوزنات سيده رابحًا الاضعاف فكان العبد الامين العالي الجبين المستحق اكليل المجاهدين . وان لم تشأ الاقدار نصفتهُ ولم يُعصب جبينه بتاج الاحبار فقد كرّمهُ الله بتاج الابرار ! وهل من مقايسة او مقارنة بين الزمني والابديّ ؟

زعامة سيادة المطران انطون عبد واخوان الفقيد ، ومشت طرابلس الفيحاء في جنازته وضمّ مأتمهُ سراة القوم من رجال الدين والدنيا ورئس حفلة الصلاة على جثمانه الطاهر سيادة المطران يوحنا شديد مستنابًا عن غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى . وبعد تلاوة الانجيل تلى الرقيم البطريركي الكريم ولفظ سيادة المطران انطون عبد تأبينًا بليغًا مؤثرًا ، ثم دُفن الجثمان في كاتدرائية مار مخايل مكفنًا بالعبرات ومشيّعًا بارق العبارات . رحمه الله رحمةً واسعة والهم اخوانه الكرام نعمة الصبر والسلوان .

وهذا نص الرقيم البطريركي العالي العالي :

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية — لبنان

البركة الرسولية تشمل سيادة اخينا المطران انطون عبد رئيس اساقفة طرابلس وحضرة اولادنا السادة يوسف وبولس ولويس وروكز الفاخوري واخواتهم وعموم آلهم المحترمين .

لقد كان لنعي المأسوف عليه كثيراً ولدنا المرحوم الخوري اسقف ارسانيوس الفاخوري وقعٌ اليم في قلبنا الابوي لما كان يتحلّى به من علم مقترن بصفات كهنوتية سامية ومزايا رسولية رفيعة دفعت رؤساءهُ في ابرشية طرابلس وبيروت وبعلبك الى ان يسندوا اليه مناصب كنسية عليا .

ففي ابرشية طرابلس شغل منصب نائب عام خمساً وعشرين سنة كان فيها مثال الاداري المحنك الذي عرف أن يكون الوصلة بين الرئيس والمرؤوسين بما أوتيه من فطنة ودراية . وكان مثال الكاهن الغيور بصبره كلًّا للكل : للشباب بسهره على طهارة الاخلاق والآداب — وللازواج بتحريضه على المحبة والامانة الزوجية — وللآباء بحثّه على تربية البنين تربيةً دينية وادبية ومدنية — وللبنين بتنبيهه الى واجب الاكرام والطاعة البنوية — وللفقراء بمساعدته وارشاده الى خيرات اسمى بكثير من خيرات هذه الدنيا — وللاغنياء الطامحين الى المجد والعلاء بلفته انظارهم الى ابعد بكثير من هذه الامور الزائلة — وللرعايا بتفقده رغم بُعد الشقة ووعورة المسالك — ولجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ببشاشته وبشاشته لهم واصغائه الى شكاويهم وقضائه مصالحهم بعطف الوالد ومحبة الاخ ومناداته من على المذبح بالحب والاخاء والحق والعدل والصفح والمغفرة .

وفي ابرشية بيروت وُكّلت اليه رئاسة الديوان الاسقفي فكان في وظيفته ذلك القاضي النزيه الذي لا يستلهم في احكامه الّا وحي الضمير والقانون .

وفي ابرشية بعلبك شغل نفس المنصب الذي شغله في ابرشية طرابلس ولم يكن اقل غيرةً واندفاعاً في سبيل النفوس واعلاء شأن الطائفة وخصوصاً بتعهده الدعوات الاكليريكية بما ينبغي من العطف والرعاية .

وقد قدرت الحكومة اللبنانية علمه وتفانيه فاهدت اليه بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي وسام الارز من رتبة ضابط مكافأةً له على خدماته في حقلي الدين والدنيا .

ورغم وقر السنين الى الّا ان يتابع جهاده ورسالته بتوزيع الاسرار ففاجأه الموت وهو في كرسي الاعتراف ومات مردداً بلسان حاله مع الرسول : ان حياتي هي المسيح وان متُّ فذاك ربحٌ لي .

ولهذا فأملنا وطيد بان الله يتقبّل نفسه اليوم في نعيمه الابدي وينيله جزاء المتّقين الصالحين .

وتبياناً لعطفنا وتكريمنا لدفنه اوفدنا سيادة اخينا المطران يوحنا شديد نائبنا السامي الاحترام ليرئس حفلة الصلاة عن نفسه وينقل اليكم والى ذويكم تعازينا الابوية والتعزية الوحيدة لنا ولكم هي ان نرفع اعيننا الى السماء طالبين له الرحمة الواسعة ولكم نعمة الصبر والسلوان .

/ الخفير

(الختم) بولس بطرس المعوشي

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

عن بكركي في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦

بعد مرور بضعة ايام على وفاة الاب الفاخوري أقيم له جنازٌ حافل في كاتدرائية مار يوحنا مرقص في جبيل حضره اخوانه والبعض من معارفه وابناء هذه المدينة قياماً بواجب الاخلاص وتقدير لمحو شقيقه السيد روكز بك الفاخوري قائم مقام جبيل ، وقد خطب في خلاله كاتب هذه السطور الاب انطونيوس شلي معدداً صفات الراحل الجليل ومعزياً بفقده وطالباً من الله الرحمة لنفسه .